AL-MA'RIFAH
Jurnal Budaya, Bahasa, dan Sastra Arab
(Journal of Arabic Culture, Language, and Literature)

Vol. 18, No. 1, April 2021, 97–108
P-ISSN: 1693-5764
E-ISSN: 2597-8551

زجل الأسير في مدح الشيخ عثمان البشير، قصيدة نونية لموسى كليم القالي: دراسة تحليلية أدبية

Saleh Muhammad Kabir[1]*, Zakir Alhaj Shariff[2], Muhammad Tukur Abdullahi[3]
[1,2]Nigeria Arabic Language Village (Inter-University Center for Arabic Studies), Ngala, Borno State, Nigeria
[3]Federal University of Kashere, Gombe State, Nigeria

Zajal al-Asīr, An Eulogy to Sheikh Usman Al-Bashir in the Poem of Musa Kalim Al-Qali: A Literary Analysis

E-Mail Address
kabirsaleh009@gmail.com
***Corresponding Author**

Abstract
This study aims to study the life of the poet Musa Kalim Al-Qali and his eulogy poem. The method used in this study is the descriptive-analytical approach, where the researchers read the selected poem and then follow it with study and analysis. The poem chosen was *Zajal al-Asīr* which contains his praise to Sheikh Usman Al-Bashir. The results of this study indicate that (1) the beginning of the poem (*maṭla' al-qaṣīdah*) invites the reader to follow what he will say about the praised Sheikh; (2) good disposal (*ḥusn al-takhalluṣ*) of the poem, the poet proceeded directly with the topic, noting that he did not explore his poem with a prologue or propaganda introduction; (3) a good syllable (*ḥusn al-maqṭa'*) in the poem, the last words upon which the poet stood was well tolerated and kept a pleasure in listening in the most eloquent expression and the most beautiful meaning; (4) the sincerity of emotion (*ṣidq al-'āṭifah*), the poem was distinguished by the sincerity of emotion, the heat of feeling, and the acuity of feeling.

Keywords
Eulogy;
Zajal al-Asīr;
Sheikh Usman Al-Bashir

المقدمة

فهذه المقالة تهدف إلى دراسة حياة الشاعر موسى كليم القالي ونموذج من شعره. وذلك لرفع الستار عن كنوزه وإنتاجاته وإبرازها في ثوب جديد، حتى تسهل للدارسين فهمها. وصاحب هذا الإنتاج شخصية أدبية مشهورة تعتبر من أبرز كتّاب مدينة "غَمبارو-إنغالا" بل ومن أشهر الكتّاب المعاصرين الذين ساهموا وما زالوا يساهمون في مجال إنتاج الشعر العربي في نيجيريا عامة، وبرنو خاصة. والباحثون بهذا الصدد يتناولون إحدى قصائده في فن المدح بالدراسة والتحليل- قدر الإمكان المتواضع، إبقاء لآثاره، وبيانا لمساهمته الفائقة في الأدب العربي النيجيري.

Available online at
http://journal.unj.ac.id/unj/index.php/jba/index
DOI: https://doi.org/10.21009/almakrifah.18.01.09

Copyright @2021 The authors
This article is distributed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License

موسى كليم القالي من مواليد ١٩٦٢م فيقرية دنغيل وهي قرية تقع بعد عشر كيلومترات شرقي مدينة إنغالا بولاية برنو، وقرية من نهر الأبيض الذي يفصل نيجيريا من الكاميرون. توفى والده ١٩٦٦ م فانتقلت به والدته إلى الشيخ عثمان البشير بمدينة غمباروا تنفيذاً لوصية والده، فأرسله الشيخ إلى خلوة تخفيظ القرآن الكريم بالزاوية ودرس المرحلة الإبتدائية في معهد الشيخ محمد البشير بغمباروا ونال الشهادة ١٩٧٧م فالتحق بكلية الكانمي بمدينة ميدغري وتخرج بالشهادة الثانوية ١٩٨٤موتحصل على شهادة الدبلوم في اللغة العربية ١٩٨٦م، ثم تحصل في العام ١٩٩٢م على الليسانس في اللغة العربية بجامعة ميدغري وفي العام ٢٠٠٤م تحصل على الماجستير في اللغة العربية في الجامعة نفسها، وفي العام ٢٠١٢م نال على الشهادة الدكتوراه من الجامعة آنفة الذكر.

وظف موسى كليم القالي في السلك التعليمي بوزارة التربية والتعليم بولاية برنو مابين عام ١٩٨٦م إلى عام ١٩٩٤م ثم انتقل إلى قرية اللغة العربية إنغالا عام ١٩٩٤م وما زال فيها وهو رشيس قسم الدراسات التأهيلية ومدير قرية اللغة العربية بالوكالة حالاً. ومن مؤلفاته، هي جبر الكسير بزيارة روضة الشيخ محمد البشير"(ديوان)، أنفاس الخاطر" (ديوان)، رواد الأدب في منطقة غمباره-إنغالا (مخطوط)، الأمثال السائرة في اللهجة العربية النيجيرية، الأدب الشعبي في التراث النيجيري، القصص والأحاجي في التراث العربي الشعبي النيجيري، معين الطلاب على قواعد الإعراب، تذكرة النبلاء في قواعد الإملاء، وإرشاد المتعلمين والمعلمين إلى قواعد الإملاء (Musa Kalim Al-Qali, personal communication, March 18, 2020).

منهج البحث

فهذه المقالة تهدف إلى دراسة حياة الشاعر موسى كليم القالي ونموذج من شعره، وذلك لرفع الستار عن كنوزه وإبراز إنتاجاته الشعرية في ثوب جديد، حتى يسهل للدارسين فهمها. والباحثون بهذا الصدد يتناولون إحدى قصائده في فن المدح بالدراسة والتحليل- قدر الإمكان المتواضع، إبقاء لآثاره، وبيانا لمساهمته الفائقة في الأدب العربي النيجيري. إن المنهج المتبع الذي يود الباحثون أن يسلكوه في معالجة هذه المقالة هو المنهج الوصفي التحليلي، حيث يقومون بقراءة القصيدة المختارة كلها عدة مرات ثم يتابعونها بالدراسة والتحليل.

نتائج البحث والمناقشة

زجل الأسير هو قصيدة منظومة ومطبوعة، تقع في خمسة وثلاثين بيتا من بحر الطويل. وتاريخ نظمها ١٩ جمادى الثانية ١٤١٣هـ / ١٣/ ديسمبر ١٩٩٢م. ومضمونها مدح الشيخ عثان البشير. تناول الباحثون تحت هذه النقطة دراسة النقاط الآتية في القصيدة المختارة، وهذه النقاط هي: (أ) مطلع القصيدة، (ب) حسن التخلص في القصيدة، (ج) حسن المقطع في القصيدة، (د) صدق العاطفة.

أ. مطلع القصيدة

إعتنى علماء النقد غاية الإعتناء بما ينبغي أن يكون عليه مطالع القصائد الشعرية إيمانا منهم بائتلاف معاني الشعر ببيانه وإرتباط أجزائه، فما المقصود بمطلع القصيدة؟ مطلع القصيدة هو أن يجعل مطلع الكلام من الشعر أو الرسائل دالاًّ على المعنى المقصود من ذلك الكلام: إن كان فتحا ففتحا، وإن كان هناء فهناء، أو كان عزا فعزاء، وكذلك يجري الحكم في غير ذلك من المعاني. وفائدته أن يعرف من مبدء الكلام ما المراد به ولم هذا النوع؟ (Ibn al-Athīr, 1990).

ويعود الباحثون الآن إلى مطلع القصيدة المتناولة بالدراسة. أن الدارسة الدقيقة في مطلع قصيدة "زَجَل الأسير في مدح الشيخ عثمان البشير" ليظهر أن المطلع يلمس في الأبيات الآتية.

بدأت بعــون الله نظـمي جواهـرا بهـا مادحـا من حبه قد سبــتني
أبا الجود والأخلاق عثمـان قدوتي فإنــي لفـي حبِّي له الدهـر فان
فهـو بـدر ليس الخســوف يـزوره أنــار سبيــل الرشــد بالقـــرآن
وقــل بحـر فيه الجــواهـر تكـمن لعلــم وحلــم لا يضـاهيـه ثان
وقطب علــي في الطبـاع إمامــهـا رؤوف بخـلــق الله ذو إحســان
عفـوٌّ كريم الصفـح عن حـق ذاته شديد انتقـام في رضى الرحمن
عـلا شهـرة فوق السّـاكين وارتقـى من المجـد عـرشا دونه القـمران

يلاحظ في الأبيات السابقة أن الشاعر خالف شعراء العرب في الجاهلية، لأنهم كانوا في أكثر حالاتهم لا يهجمون على أغراضهم، بل يمهدون لها. وكانت غالبيتهم تبدأ بالوقوف على الديار، كما يظهر جليا في مطالع قصائد المعلقات. هذا المطلع يدعو القارئ إلى متابعة ما سيقوله الشاعر عن هذا الشيخ الممدوح الذي اعتبره والد وسيد له، فمثل هذا المطلع بمجرد سماعه يلقى في الروع على أن القصيدة تحتوي على معان تمت إلى المدح بصلة. وإضافة إلى ذلك، إن المطلع ملائم للمضمون وموح لما يستقبل من المعاني، بل وقد استوفت فيه شروط المطالع الجيدة، من سهولة الألفاظ، وفخامة العبارة، ووضوح المعنى المتصل بالموضوع، فعلى هذا يمكن الحكم لمثل هذه القصيدة بأنها حظيت بما يسمى ببراعة الإستهلال أو حسن الإبتداء على حد تعبير النقاد.

ب. حسن التخلص في القصيدة

ويأتي بعد المطلع في البنية الشعرية التخلص، وهو الذي يحتوي على هيكل القصيدة ومضمونها، وصورته على حد ابن الأثير هي أن يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني، فبينما هو فيه إذا أخذ في معنى آخر غيره، وجعل الأول سببا إليه – فيكون بعضه آخذا برقاب بعض من غير أن يقطع كلامه ويستأنف كلاما آخر، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغا (Ibn al-Athīr, 1990).

فنفهم من هذه العبارة أن التخلص يتمثل في الخروج من معنى إلى معنى مع إيجاد ربط وثيق بين المعنى السابق واللآحق، بحيث يكون السابق سببا إلى اللاحق، وأنه يحتاج في تمثيله إلى نوع من الإحكام والإتقان بحيث يكون الخروج من معنى إلى آخر من غير قطع الكلام واستئناف كلام آخر، بل يكون الكلام موصولا مع توفر ربط داخلي وثيق بين معانيه.

وأما عن حسن التخلص في القصيدة فإنها خالية مما يسمى بحسن التخلص، وذلك لأن الشاعر شرع بالموضوع مباشرة وهو المدح حيث يقول:

كفى شــرفاً بالأصل كونه من أرو مة المصطفى المختار كنز المعاني
جواد كريم أخرس اللسن وصفه وتخجل منه السحب في الغــدقان
فأنى لمثــلي أن يحيــط صفـاته وذنبي عن تعــريف نفسـي – لهاني
سـوى أن قلبــي فيه طــر تشوقا فتــرحم عن مكنــونه الشـــفتـــان

ج. حسن المقطع في القصيدة

إذا كان المطلع مفتاح الشعر ومدخله، كان من الأجدر أن تكون الخاتمة قفله ومسدّه، لأنها اللبنة الأخيرة التي يضعها الشاعر في بناء القصيدة، فينبغي للشاعر أن يحسنها ويجّودها، لأن الخاتمة أبقى في السمع وألصق بالنفس لقرب العهد بها، فإن حسنت حسن الكلام وإن قبحت قبح الكلام، والأعمال بخواتمها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد أشار النقاد إلى إحكامها وتجويد السبك فيها لكونها قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في الأسماع، فلا يستحسن الزيادة عليها كما لا يستحسن أن يأتي الشاعر بعدها بأحسن منها. ويضيف ابن رشيق في كتابه "العمدة"، قائلا "وقد كره الحُذَّاقُ من الشعراء ختم القصيدة بالدعاء لأن ذلك من أعمال الضعف، إلا للملوك فإنهم يشتهون ذلك (Ibn Rashīq, 1981). فنرى إن كانوا يجوزن ذلك في مدح الملوك فمدح العلماء والشيوخ أولى بهذا النوع من الخاتمة لما فيها من المعاني الروحية التي تصور شدة تعلق الشعراء الصوفيين بشخصية شيوخهم الجليلة وتفانيهم فيها.

وإضافة إلى ذلك، يقول النويري في تعريفه لحسن المقطع، فهو أن يكون آخر الكلام الذي يقف عليه المترسل أو الخطيب أو الشاعر مستعذباً حسناً لتبقى لذته في الأسماع، كقول أبي تمام:

أبقت بني الأصفر المصفر كاسمهم صفر الوجوه وجلت أوجُهَ العرب

وكقول المتنبي:

وأعطيت الذي لم يعط خلق عليك صلاة ربك والسلام

(al-Nuwayri, n.d.)

إذن حسن المقطع وجودته هو مراعاة حسن آخر البيت أو القصيدة ولم يكن أقل شأنا من مراعاة جودة الإبتداء في القصيدة، ولذلك إهتم البلغاء أن ينهوا كلامهم بأبلغ لفظ وأجمل معنى، واهتموا بأن يكون آخر بيت في القصيدة أجود فيها.

وأما عن حسن المقطع في القصيدة، فلقد امتازت القصيدة بحسن المقطع، وذلك لأن آخر الكلام الذي وقف عليه الشاعر مستعذباً حسناً وأبقى لذة في الأسماع بلفظ بليغ ومعنى جميل، وكيف لا، وكان آخر كلامه دعاء وصلاة وسلاما على النبي صلى الله عليه وسلم وآله وأصحابه ومن يقتدي بهم وعن الشيخ التجاني وغوثنا برهام ذي الجود والندى وأصحابه وأحبابه وعن الشيخ أبي الفتوح رحمه الله ، فتأمل مقطع القصيدة الآتي حيث يقول الشاعر:

حمـدت إلهــي أن لـذاك هـدانيا فخففت من نار الجـوى بلساني
فـذا أنــا بُحتُ بالذي كنت طالباً وأرهــقني طـول الهتـاف كواني
لتكتب إلــهــي للعبيــد هـداية وهبــه دومــاً كامــل الرضــوان
لتمـزح دمي حب ذا القوم الذي فيشغــلني عن غيــره من كيــان
وصـل على المختـار سر الخليفة كـذا آله والصــحب فـي كـل آن

وبهذا ختم شاعرنا قصيدته بالدعاء والصلصلة والتسليم ناهجا في ذلك منهج شعراء المديح.

د. صدق العاطفة في القصيدة

العاطفة في اللغة من عطف يعطف وعطف، العين والطاء والفاء من أصل واحدصحيح على الثناء، يقال عطفت الشيء إذا أملته والوسادة: ثناها كعطفها ومصدره العطوف وتعطف: بالرحمة (Ibn Fāris, 1429 H) وعطت عليه أي أشفقت عليه، ومنه قوله الشاعر.

العاطفون تحيـل ما من عاطف والمعطفون زمان ما من مطعـم
(al-Jawharī, 1990)

وتأتي الكلمة بمعنى مال، تقول مال عليه أي أشفق كتعطف، كما تأتي بمعنى حمل وكر عليهز ومنعطف الوادي: منحاه وتعاطفوا: عطف بعضهم على بعض. وتعطف به: إرتدى كاعتطف ويتعاطف في مشيته إذا حرك رأسه وتهادى أو تبختر (al-Fayrūzābādī, 2007). وتأتي أيضاً بمعنى: الإنصراف والحماية تقول رجل عطوف ، وعطّاف: يحمي المنهزمين والعاطفة الرحم، كما تأتي بمعنى حسن الخلق، تقول رجل عطوف بمعنى حسن الخلق ، ومنه قول مزاحم العقيلي، أنشده ابن الأعرابي.

وَجْدي بها وجد المضـل فلوصه بنخلة لم تعطف عليه العواطف
(al-Jawharī, 1990)

من يدرك أن العاطفة في اللغة تأتي لمعان عدة منها : الميل والثناء، الرحمة والشفقة، المنحني من الوادي، حسن الخلق. أما عند أهل الفن فقد عرفها ابن رشيق بانها تلك الدواعي والبواعث التي تدفع الشاعر إلى التعبير عما يحتاج في صدره من طرب وطمح وغضب وشوق ووقاء وغيرها (Ibn Rashīq, 1981)، ويرى أحمد بدوي أنها "قواعد الشعر والأسس والينابيع التي يتفجر منها الشعر" (Badawī, 1979) وعرفها أحمد الشايب: "إنها تعني دراسة وبيان المقاييس النقدية (al-Shāyib, 1994)، وكما عرفه شوقي ضيف بأنها الحالة الوجدانية التي يشترك الناس فيها جميعاً فيما يسمونه حزناً أو فرحاً أو خِجْلاً وما إلى ذلك (Ḍayf, 1999).

والعاطفة عنصر هام في الدراسة التحليلة للعمل الأدبي، فيها نحس من الأديب قوة شعوره ومحاولته في نقل انفعالاته إلى سامعيه. فكلمة "العاطفة" كنقطة من نقاط الدراسة التحليلية كلمة جديدة ولم يرد اسمها في الدراسات التحليلية القديمة. ويقول أحمد أمين: " فأنت تقرأ طبقات الشعراء لابن قتيبة مثلا فتجد فيه: قول الشعر للرغبة أو الرهبة. ولكن لا تجد فيه كلمة العاطفة لأنها لم تخترع إلا في العصر الحديث (Amīn, 1972).

إن العاطفة عنصر من عناصر الأثر الأدبي، الذي يتكون من عناصر أربعة هي الفكرة والعبارة والعاطفة، والخيال، على النحو الذي يحدد فيه النقد الحديث معالم الصورة الأدبية. ويقصد بالعاطفة الحالة الوجدانية والنفسية التي تسيطر على الأديب إزاء موضوع أو فكرة أو مشاهدة، وتؤثر فيه تأثيرا قويا يدفعه إلى التعبير عن مشاعره، والإعراب عما يجول بخاطره. ومقياس هذه العاطفة يرجع إلى القارئ المتذوق الذي ينقل إليه تأثير هذه العاطفة الكامنة في العمل الأدبي، وعلى قدر هذا التأثير يكون الحكم على العاطفة من حيث الثبات أو التحول، والقوة أو الضعف، والصدق أو الزيف، والسمو أو الهبوط، وهي الأمور التي جعلها النقد الحديث مقاييس للعاطفة الأدبية (Abū Kurayshah, n.d.).

هذا والعاطفة قد تكون صادقة مقبولة، وذلك إن طابقت مشاعر الأديب لما هو عليه من عقيدة وذوق وتجربة، والا فزعم باطل مرفوض في الدائرة الأدبية. فالصدق المتطلب هو مطابقة القول لعقيدة الأديب وذوقه فقط، ولو خالف لواقع الحال. لقد تحدث علي نائبي سويد عن عنصر الصدق في العمل الأدبي فقال متسائلا: " إذا نظم الشاعر قصيدة، يدَّعى فيها: أنه أحبّ أو أبغض، فرح أو حزن، ضحك أو بكى، فإن أول سؤال يجب أن نسأله حين نقرأ قصيدته هو: هل شعر حقا بهذا الشعور الذي يدّعيه؟ أو انفعل بهذا الإنفعال الذي يزعمُه؟ وهل مر حقا بتلك التجربة التي يحاول نقلها إلينا؟ وعلى الإجابة عن هذا السؤال الأول، يتوقف قبولنا المبدئي لقصيدته، واستمرارنا في تقديرها، ورفضنا لها منذ البدء، وإباؤنا أن ندخلها في دائرة الأدب الصادق (Suwayd, n.d.).

وأضاف إلى هذه التساؤلات التي طرحها بقوله: " وإذا نظم شاعر قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، والثناء على خُلقه وفضله، فإننا لا ننخدع بكون هذه الفضائل موجودة حقًّا في شخصية الرسول الكريم، بل نحاول أن نستكشف: هل صدرت هذه القصيدة عن الشاعر، وهو في حالة انفعال

صادق بجلال الشخصية النبوية، أو هو مجرد نظام بارد العاطفة، ينظم قصيدته لينال إعجاب المسلمين وشكرانهم (Suwayd, n.d.).

وإذا تحول القارئ إلى قصيدة شاعرنا المتناولة بالدراسة يجدها قد امتازت بصدق العاطفة وحرارة الشعور، وحدة الإحساس، فهي ليست إلا تعبيرا صادقا عن عواطفه وعما يختلج في قلبه من المشاعر والأحاسيس نحو شيخه، فتأمل الأبيات الآتية.

بدأت بعـون الله نظـمي جواهرا بهـا مادحـا من حبـه قد سبتنـي
أبا الجود والأخلاق عثمـان قدوتي فإنـي لفـي حبِّي له الدهر فان
فهـو بـدر ليس الخسوف يزوره أنـار سبيـل الرشـد بالقـرآن
وقـل بحـر فيه الجواهـر تكمن لعـلم وحـلم لا يضـاهيه ثـان
وقـطب علـي في الطبـاع إمامها رؤوف بخـلق الله ذو إحسـان
عفـوٌّ كريـم الصفح عن حق ذاته شـديد انتقـام فـي رضى الرحمن
عـلا شهـرة فوق السِّاكين وارتقى من المجـد عرشـا دونـه القـمران
كفـى شرفـاً بالأصل كونه من أرو مة المصطفى المختار كنـز المعاني
جـواد كريـم أخرس اللسن وصفه وتخجـل منـه السحب في الغدقان
فأنـى لمثلـي أن يحيـط صفـاتـه وذنبي عن تعـريف نفسي - لهـاني
سـوى أن قلبـي فيه طـر تشـوقا فتـرحـم عـن مكنـونه الشـفتـان

وقوله أيضاً.

أيا سلوة الأسجان يا ابن المكارم أتـاك بنـي دائـم الهيـجان
فشأنك إرشـاد العبـاد ونصحهم مدى الدهر قط ما اعتراك توال
فغـذيت أرواحـاً بكـل فضيـلة فحازت مقام المجد والعـرفان

إن المتأمل للابيات السابقة يدرك جليا أنها لم تصدر إلا من قلب مفعم بعاطفة قوية تجاه الممدوح، وهو الشيخ عثمان البشير (رحمه الله). وإن الشاعر في هذه الأبيات قد صرح بهذا النظم بأن قلبه ممتلئ شوقا، وقد اضطرب وانفعل لشيخه غوث العصر وحصنه من الهلاك، كما أنه ذكر مناقب ممدوحه التي منها الزهد والتقوى والمعارف والهدى، والحِلم والعلم والصلاح ورتبة مراعاة حق الله سبحانه وتعالى، أضف إلى ذلك تواضعه للجميع، وجوده وكرمه الذي يعم جميع الخلق، وتراه إذا قصد المساكين والمحتاجين يقضي حوائجهم وأغراضهم مخفياً، ومسترا مساعدته عن أعين الناس، ولا يعطى إلا لوجه الله في الله مع الإخلاص في ذلك ولا يخاف في الله لومة لآئم. وبهذه الصفات المذكورة اقتدى بجده صلى الله عليه وسلم، وأن لممدوحه كرامات وفضائل كثيرة، وإن أعظمها إحياء السنة المحمدية، وله تآليف كثيرة مفيدة حيث انتفع بها طلاب العلم النفع المؤبّد. وفي هذا يشم القارئ رائحة العاطفة

الصادقة التي انبعثت من سويداء فؤاد الشاعر، وذلك بدليل مناسبة هذه المعاني والمشاعر بالموضوع الذي هو مدح لشيخ الشاعر.

٥. الأسلوب من حيث الصياغة

الأسلوب هو إتجاه الأديب وطريقته في النظم والتأليف على نحويختص به ويميزه عن غيره من الأدباء. والنقد الحديث يربط بين الأسلوب والموهبة، أي أن الأسلوب المتميز شيء يوهب ولا يكتسب، فالأسلوب ليس علما يدرس، وإنما هو شيئ شخصي كلون الأعين ونبرة الصوت، ومن الممكن أن يتعلم المرء مهنة الكتابة، ولكن لن يتعلم أن يكون له أسلوب (al-Shāyib, 1976). وعلى هذا فإن شخصية الأديب البارزة في الأسلوب هي السمة المتميزة لأدبه وبها يعرف، وإن لم يوضع اسمه بجوار كلامه. وقد أدرك نقدنا العربي القديم هذه الحقيقة التي عبرّ عنها الباقلاني بقوله عن إدراك الناقد للأساليب التي رسخت معالمها (والعالم لا يشذّ عنه شيئ من ذلك .. حتى أنه إذا عرف طريقة شاعر في قصائد معدودة، فأنشد غيرها من شعره لم يشك أن ذلك من نسجه، ولم يرتب أنها من نظمه. كما أنه إذا عرف خط رجل لم يشتبه عليه خطه حيث رآه بين الخطوط المختلفة، وحتى يميز بين رسائل كاتب ورسائل غيره، وكذلك الأمر في الخطب (al-Sharīf, 2001).

١) الألفاظ والتراكيب

لغة الشعر تختلف عن لغة النثر كما هو معلوم، ويتباين أسلوبها حتى ولو كان النثر نثرا أدبيا، فأسلوب الشعر الذي نعرف له من السمات الفنية العاطفة والخيال والموسيقي كالنثر الأدبي، إلا أنه يكاد يتميز بسمة التأثير أو تغلب عليه صفة التأثير، في حين أن النثر الفني تغلب عليه صفة الإفادة، وتتلمح فيه ولو من بعيد النزوع إلى مخاطبة العقل أكثر منها إلى مخاطبة العاطفة والشعور (al-Hāshimī, 2007) وباختلاف قوة التأثير الناتجة من صدق عاطفة الشاعر وشعوره وقوة خياله تبرز آيات الظهور ويتصدر الأسلوب، ولكن قوة التأثير المنوه بها في هذا المجال لا تتم للشاعر إلا باختيار ألفاظه وتراكيبه فيبتعد عن الكلمات المتنافرة الحروف والعبارات المتنافرة والكلمات والجمل، ويجتهد في إيجاد المناسبة بين ألفاظه ومعانيه من غير تكلف، فيختار لمعاني المدح ما تناسبها من الكلمات الجزلة، وللتعاب ما تناسبه من الكلمات اللطيفة السهلة، وللمحاسة ما تناسبها من الألفاظ القوية الجزلة، للنسيب كذلك ما تناسبه من الألفاظ الرقيقة العذبة، وهكذا تختلف الألفاظ والعبارات كلما اختلفت الموضوعات والأغراض لتأتلف الألفاظ والعبارات بالمعاني التي استوظفها الشاعر في قصيدته (Maqbūl & Zakrī, 1407 H).

إن ألفاظ وتراكيب القصيدة إمتازات بالسهولة واللين، وقد يرجع ذلك إلى طبيعة الموضوع الرئيسي للقصيدة الذي هو المدح، فتأمل البيات الآتية.

بدأت بعــون الله نظــمي جواهرا بهــا مادحـــا من حبــه قد سبتنــي
أبا الجود والأخلاق عثمـان قدوتي فإنـــي لفـــي حـبِّي له الدهر فان
فهــو بــدر ليس الخـسوف يزوره أنـــار سبيـــل الرشـــد بالقـــرآن
وقــل بحــر فيه الجواهــر تكـمن لعـــلم وحـــلم لا يضــاهيه ثـان
وقــطب علــي في الطبــاع إمامها رؤوف بخـــلق الله ذو إحـســـــان
عفــوٌّ كريـم الصفح عن حق ذاته شــديد انتقــام فــي رضى الرحمن
عـلا شهــرة فوق السِّاكين وارتقـى من المجــد عرشــا دونــه القــمران
كفــى شرفــاً بالأصل كونه من أرو مة المصطفى المختار كنـز المعاني
جـواد كريـم أخرس اللسن وصفه وتخجـل منـه السحب في الغدقان
فأنـى لمثلــي أن يحيــط صفــاتـه وذنبي عن تعـريف نفسي – لهـاني
ســوى أن قلبــي فيه طــر تشـوقا فتــرحـم عـن مكنــونه الشــفتــان

يلاحظ في الأبيات السابقة " بل وفي كل القصيدة السهولة واللين، والرقة ، وجاءت واضحة لا غموض فيها ولا تعقيد، والجدير بالذكر، إن الشاعر لم يكن متكلفا عند الإيتان بالألفاظ والمعاني، بل جاءت عفو الخاطر، وهذه ميزة امتاز بها أسلوبه الذي ابتعد به عن الغرابة والتصنع والتعقيد ليصل من خلاله إلى قلوب القارئين على الرغم من تباين مستواهم الثقافي.

٢) الموسيقى الشعرية في القصيدة

تحتوي قصيدة "زَجَلِ الأسير في مدح الشيخ عثمان البشير" على خمسة وثلاثين بيتا بحر الطويل الذي يتألف من ثمانية أجزاء وهي:

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن	فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن
بدأت بعون الله نظمي جواهرا	بها مادحاً من حبه قد سباني

تقطيع البيت:

بدأت بعونـــلا	حنظـمي	جـواهــرا
// o/o /o/ / /o	o / o / /	o/ / o/ /
فعول مفاعيلن	فعولن	مفاعلن
مقبوض سليم	سليم	مقبوضة

بهــا ما دحا من حب	بهي قد	سبـانـي
// o/ o / o/ / o/ o	//o/ o/	/ /o/ o
فعولن مفاعيلن	فعولن	مفاعي
سليم سليم	سليم	محذوف

يلاحظ في هذا البيت أن العروض ورد فيه "القبض". أما حشو البيت فنجد أن إحدى تفعيلاته وهي الأولى (فعولن) دخلها القبض فتحولت إلى (فعول) بتحريك اللام. ويلاحظ أيضا ان البيت السابق اشتمل على مقياسين من المقاييس الثمانية التي اشرنا إليها آنفا وهما: فعولن، مفاعيلن. والجدير بالذكر هو أن الروي في قصيدة " زَجَلِ الأسير" هو حرف النون المتحرك بالكسرة والمسبوق بالفتحة. وإن اختيار الشاعر موسى كليم لحرف النون رويا لقصيدته، قد أكسب للقافية نغما رائعا وموسيقي جميلة. ومما يدل على براعة الشاعر إختياره الروي المتحرك بالكسرة بدلا من الساكن، وذلك ليهزّ أذن سامعيه تيقظا وإنتباها وجذباً لميولهم وكسب عقولهم وبث انفعال موسيقية في نفوسهم ليشاركوه في احاسيسه ومشاعره.

الخاتمة

وفي الختام، يتضح جلياّ لقارئ المقالة بأن الشاعر موسى كليم القالي يعتبر من أشهر الشعراء البارزين الذين ساهموا وما زالوا يساهمون في مجال الإنتاج الشعر العربي في نيجيريا عامة وبرنو خاصة. واشتملت المقالة على عرض لحياة الشاعر ودراسة تحليلة لقصيدته المسماه "زَجَلِ الأسير في مدح الشيخ عثان البشير" ويبدو من خلال عرض هذه القصيدة على أن الشاعر ساهم بنصيب وافر في ميدان الأدب العربي والثقافة الإسلامية في هذه البلاد (في القرن العشرين والحادي والعشرين) كما اتضح لنا من خلال هذه المقالة.

فعن دراسة بناء القصيدة وصل الباحثون إلى القول بأن الشاعر موسى كليم لم يبن قصيدته على النمط المعروف لدى الشعراء القدامى، إذ لم يفتتح القصيدة بالنسيب والغزل أو بذكر الديار والبكاء على الأطلال، وخلاصة القول، أنه لم يتأثر بالإفتتاح النيسبي في قصيدته. وأما عن مطلع القصيدة، فإن الشاعر خالف شعراء العرب في الجاهلية لأنهم كانوا في أكثر حالاتهم لا يهجمون على أغراضهم، بل يمهدون لها، وكانت غاليبتهم تبدأ بالوقوف على الديار، كما يظهر جليًّا في مطالع قصائد المعلقات. وإن مطلع قصيدة الشاعر المتناولة بالدراسة ليدعو القارئ إلى متابعة ما سيقوله عن هذا الشيخ الممدوح. وإن مثل هذا المطلع بمجرد سماعه يلقي في الروع على أن القصيدة تحتوي على معان تمت إلى المدح بصلة، وإضافة إلى ذلك، إن المطلع ملآئم للمضمون وموح لما يستقبل من المعاني، بل وقد استوفت فيه شروط المطالع الجيدة، من سهولة الألفاظ، وفخامة العبارة، ووضوح المعنى المتصل بالموضوع.

وأما عن حسن التخلص في القصيدة، فإنها خالية مما يسمى بحسن التخلص، وذلك لأن الشاعر شرع بالموضوع مباشرة، فيلاحظ أنه لم يستطلع قصيدته بمقدمة طللية أو دعائية حتى ليقال أنه خرج من كلام "إلى" آخر غيره بلطيفة تلآئم بين الكلام الذي خرج منه والكلام الذي خرج إليه. وأما عن حسن المقطع في القصيدة، فلقد امتازت القصيدة بحسن المقطع، وذلك لأن آخر الكلام الذي وقف عليه الشاعر مستعذباً حسناً وأبقى لذة في الأسماع بأبلغ لفظ وأجمل معنى، وكيف لا، وكان آخر كلامه دعاء وصلاة وسلاما على النبي صلى الله عليه وسلم وآله واصحابه ومن يقتدي بهم. وأما عن صدق العاطفة في

القصيدة، فقد أشار الباحثون إلى أن القصيدة قد امتازت بصدق العاطفة وحرارة الشعور وحدة الإحساس، فهي ليست إلا تعبيراً صادقا عن عواطف الشاعر وعما يختلج في قلبه من المشاعر والأحاسيس نحو شيخه.

أما من حيث دراسة الألفاظ والتراكيب فقد أشار الباحثون إلى أن الشاعر موسى كليم قد وفق في اختيار الكلمات ذات السهولة واللين والرقة، وجاءت واضحة لا غموض فيها ولا تعقيد. وأما عن الموسيقي والوزن والقافية، فقد أشار الباحثون على اختيار شاعرنا للبحر الطويل في القصيدة، وذلك دلالة واضحة في نظر الباحثين على شاعريته ورصانة أسلوبه وبلاغته وقوة طبعه وثروة اللغوية.

المراجع

Abū Kurayshah, Ṭ. M. (1998). *al-Naqd al-adabī al-taṭbīqī bayn al-qadīm wa-al-ḥadīth*. Giza: al-Sharikat al-Miṣrīyah al-‘Ālāmīyah li-al-Nashr.

Amīn, A. (1972). *al-Naqd al-adabī*. Sohag: Maktabah al-Nahḍah al-‘Arabīyah.

Badawī, A. A. (1979). *Usus al-naqd al-adabī ‘inda al-‘Arab*. Cairo: Dār al-Nahḍah.

Ḍayf, Sh. (1999). *Fann al-adab wa-al-naqd*. Cairo: Dār al-Ma‘ārif.

al-Fayrūzābādī. (2007). *al-Qāmūs al-Muḥīṭ* (Vol. 3). Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah.

al-Hāshimī, A. (2007). *Jawāhir al-balāghah fī al-ma‘ānī wa-al-bayān wa-al-badī‘*. (Y. al-Ṣumaylī, Ḍabt wa-Tadqīq). Beirut: al-Maktabah al-‘Aṣrīyah.

Ibn al-Athīr. (1990). *al-Mathal al-sā’ir fī adab al-kātib wa-al-shā‘ir* (M. M. ‘Abd al-Ḥamīd, Taḥqīq). Beirut: al-Maktabah al-‘Aṣrīyah.

Ibn Fāris. (1429 H). *Maqāyīs al-lughah*. Cairo: Dār al-Ḥadīth.

Ibn Rashīq. (1981). *al-‘Umdah fī maḥāsin al-shi‘r wa-ādābih wa-naqdih* (M. M. ‘Abd al-Ḥamīd, Taḥqīq, Vol. 1). Beirut; Dār al-Jīl.

al-Jawharī, I. Ḥ. (1990). *al-Ṣiḥāḥ tāj al-lughah wa-ṣiḥāḥ al-‘Arabīyah*. Beirut: Dār al-Malāyīn.

Maqbūl, S. Ḥ. ‘U., & Zakrī, ‘A. M. M. (1407 H). al-Adab wa-al-nuṣūṣ wa-al-balāghah li-al-marḥalah al-thālithah (Vol. 1). Tripoli, Libya: Jam‘iyat al-Da‘wah al-Islāmīyah al-‘Ālamīyah, Maktabat al-I‘lām wa-al-Buḥūth wa-al-Nashr.

al-Nuwayrī. (n.d.). *Nihāyat al-arab fī funūn al-adab* (Vol. 7). Cairo: Wizārat al-Thaqāfah wa-al-Irshād al-Qawmī, al-Mu’assasah al-Miṣrīyah al-‘Āmmah li-al-Ta’līf wa-al-Tarjamah wa-al-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr.

Suwayd, A. N. (n.d.). *Kayfa tatadhawwaq al-adab al-‘Arabī*. Kano: Dār al-Ummah.

al-Shāyib, A. (1976). *al-Uslūb*. Cairo: Maktabah al-Nahḍah al-Miṣrīyah.

al-Shāyib, A. (1994). *Uṣūl al-naqd al-adabī ‘inda al-‘Arab*. Cairo: Maktabah al-Nahḍah al-Miṣrīyah.

al-Sharīf, K. I. (2001). *al-Burdah al-jīmīyah li-al-Shaykh Yūsuf ibn ‘Abd al-Qādir al-Qarqarī: Taḥqīq wa-dirāsah adabīyah* (Doctoral dissertation). Bayero University, Kano, Nigeria.

This page intentionally left blank